السلطة والهوية وتشكيل الذاكرة الجمعية

Authority،identity and formation of collective memory

أ.م.د.عواطف علي خريسان[1]

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية العراق Awatifali878@yahoo.om

تاريخ الاستلام: 13-02-2019 تاريخ القبول: 27-05-2020 تاريخ النشر: 31/.12/2019

الملخص:

تُعد الهوية من المواضيع التي برزت منذ منتصف القرن العشرين خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ،فالهوية هي شعور فردي أو جماعي بالنفس وهي نتاج للوعي بالذات، بأني أو أننا نمتلك صفات مميزة كهوية تجعلني مختلفاً عنك ، وتجعلنا مختلفين عن الآخرين، وتحتاج الهوية إلى ذاكرة جماعية تنميها وتنقل الماضي إلى الحاضر لتعبر عن انتماء الأفراد وتحدد هويتهم ، لكن هذه العملية تعترضها السلطة السياسية سواء أكانت ديموقراطية أو دكتاتوريا لتعُيد صياغة الهوية وفقا لإعادة بناء ذاكرة جمعية هي في الحقيقة حصيلة الذاكرات الجماعية الموجودة في كل مجتمع يتسم بالتعددية، وتوظيف هذه الذاكرة كأداة لشرعنه أصل السلطة السياسية وتبرير استمرارها كسلطة مفروضة ضمن سياق مجتمعي ما.

كلمات مفتاحية:الهوية ، السلطة ،الذاكرة.الذات، المجتمع.

Summary:

Identityis one of the topicsthat have emergedsince the mid-twentiethcentury،especiallyafter the end of the Second

[1]**المؤلف المرسل**: ا.م.د.عواطف علي خريسان ، **الإيميل**: Awatifali878@yahoo.om

World War. Identityis an individual or collective feeling of the self، and itis a product of self-awareness،that I or wepossess distinctive qualities as identitythatmakes me differentfromyou، and makes us differentfromothers، and identityneedsmemoryCollectivelydeveloping and transferring the past to the present to express the belonging of individuals and determiningtheiridentity، but thisprocessisopposed by the politicalauthority،whetheritis a democracy or a dictatorship to redefine the identityaccording to reconstructing the collective memorythatis in fact the outcome of the collective memoriesthatexist in every society characterized by pluralism، and usingthismemory as a tool to legitimize The origin of political power and the justification for its continuation as an imposed power within a societalcontext

Keywords: Identity،authority،memory، the self، society

1.مقدمة:

يتناول هذا البحث موضوع الهوية والذاكرة الجمعية ،وكيف تتمكن السلطة السياسية من بلورة ذاكرة جمعية لترسم بذلك هوية مجتمعية، وسبيل السلطة السياسية في ذلك استخدام الرموز والنشاطات الثقافية في بلورة الهوية الجمعية من خلال تهيئة ذاكرة جمعية ، فالطقوس والحكايات الأسطورية والنصب التذكارية والمتاحف وإحياء مناسبات وأياما تذكرية والنصوص والقوانين تغذي الأفراد ذاكريا وهوياتيا، فعملية تشكيل ذاكرة مشتركة تتطلب وجود منظومة اجتماعية تحاكي توحيد الذاكرة وتوجيهها بالشكل الذي يؤسس لهوية مشتركة تؤدي وظيفة المحافظة على الكل المتعدد .ويعد البحث في مجال الذاكرة الجمعية من الدراسات الحديثة في ميدان العلوم الإنسانية في مجال التنظير العربي

في حين أكدت الدراسات الغربية منذ عقود على أنها ظاهرة مجتمعية وبالتالي تم التعاطي البحثي معها كواقع جمعي ملموس تنظيرا وممارسة في كافة الحقول الاجتماعية والإنسانية ،ويحاول البحث الإجابة عن مجموعة التساؤلات، كيف تتشكل الذاكرة الجمعية ، وكيف تُشكل الذاكرة الجمعية هوية الأفراد ، وما الأساليب التي تنتهجها السلطات السياسية في تشكيل الهوية والذاكرة الجمعية ، ولتحقيق ذلك سعى البحث لتوضيح :

أولاً : هدف البحث

ثانياً : مشكلة البحث

ثالثاً :مقاربة مفاهيمية للهوية والذاكرة الجمعية

رابعا: توضيح الانتماء الجغرافي والانتماء الجماعي للهوية

خامساُ: السلطة ودورها في تشكيل الهوية والذاكرة الجمعية

أولاً : هدف البحث

- تحديد مفهوم الهوية والذاكرة الجمعية .
- تفكيك الهوية .
- التعرف على أساليب السلطة السياسية في تشكيل الهوية والذاكرة الجمعية .

ثانياً : مشكلة البحث

طرح البحث مجموعة من التساؤلات وهي :

- كيف تتشكل الذاكرة الجمعية ؟
- كيف تُشكل الذاكرة الجمعية هوية الأفراد ؟
- ما الأساليب التي تنتهجها السلطات السياسية في تشكيل الهوية والذاكرة الجمعية ؟

ثالثاً :مقاربة مفاهيمية للهوية والذاكرة الجمعية

- **في مفهوم الهوية**

تُعد الهوية من المواضيع التي برزت منذ منتصف القرن العشرين خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث تفككت العديد من الدول وانظمت أقاليم لدول

أخرى، وتصاعدت موجات الهجرة الأمر الذي أدى إلى تفاعل وتصارع الهويات، وظهور العديد من المشكلات التي ارتبطت بالهوية.

ويوضح صمويل هنتنجون أن امريكا ليست فريدة في ان لديها مشكلة هوية ، فالمساجلات عن الهوية القومية هي صفة متفشية في العصر الحالي ، ففي كل مكان تقريباُ يتساءل الناس وأعادوا النظر فيما هو مشترك فيما بينهم وما يميزهم عن غيرهم من الشعوب، من نحن ؟ والى أين ننتمي ؟ أن اليابانين في حيرة هل موقعهم وتاريخهم وثقافاتهم تجعلهم أسيويين أم أن ثروتهم ، وديمقراطيتهم وحداثتهم تجعلهم غربيين ، لقد تم تعريف إيران بأنها امة تبحث عن هوية ، ووصفت جنوب إفريقيا بأنها تبحث عن هوية ، كما وصفت الصين بأنها تبحث عن هوية قومية، وقيل إن كلا من سوريا والبرازيل تواجهان أزمة هوية حادة ، وكندا تواجه أزمة هوية مستمرة ،الدنمارك تواجه أزمة هوية حادة ، أدت إلى مناقشات ساخنة عن الهوية القومية وتواجه روسيا أزمة هوية عميقة أدت إلى قيام جدل القرن التاسع عشر الكلاسيكي بين محبي السلاف والغربيين حول هل روسيا دولة أوربية طبيعية أم أنها دولة أوروبية اسيوية مختلفة ، وفي المكسيك ظهرت على السطح أسئلة عن هوية المكسيك ، والألمان الذين انتموا إلى المانيتين مختلفتين الأولى ديمقراطية وأوروبية غربية والثانية شيوعية وأوروبية شرقية ، يتصارعون لإعادة خلق هوية المانية مشتركة، وقد أصبح سكان الجزر البريطانية اقل وثوقاً من هويتهم البريطانية وغير متأكدين هل هم شعب أوروبي أساسا أم أنهم شعب ينتمي لشمال الأطلنطي ،فلقد أصبحت أزمات الهوية القومية ظاهرة عالمية(صمويل،2009،ص44).

وفي خضم ذلك كله فان الشعور بالهوية ليس حالة مجردة خارجة عن النفس البشرية، وإنما ينطوي على مجموعة من المشاعر المختلفة ، كالشعور بالوحدة ، والتكامل ، والانتماء ، والقيمة، والاستقلال ، والشعور بالثقة المبني على أساس من إرادة الوجود (اليكس،1993،ص15).وليظهر هذا الشعور بالهوية بشكل فردي أو جماعي بالنفس، وهي نتاج للوعي بالذات، بأني أو أننا نمتلك صفات مميزة كهوية تجعلني مختلفاً عنك وتجعلنا مختلفين عن الآخرين، فالطفل المولود حديثاً قد يمتلك عناصر من الهوية

عند الميلاد خاصة بالاسم، والجنس ، والأبوين ، والجنسية ، ومع هذا، فإن هذه العناصر لا تصبح جزءاً من هوية الطفل سواء أكان ذكراً او أنثى إلا بعد أن يعي بها وان يحدد نفسه طبقاً لها .

وللهوية مصادر غير محددة يذكره صمويل هنتنجتون ، وتشمل هذه هويات هي أساسا كما يلي(صمويل،2009،ص62) :

1 -إسنادية، مثل العمر، والأسلاف ، والنوع ، والأقارب بالدم ، والأثنية، والعنصر.

2 -ثقافية ، مثل العشيرة والقبيلة والأثنية (المعرفة بأنها طريقة الحياة) واللغة والجنسية والدين والحضارة.

3 -إقليمية ، مثل الجوار والقرية والمركز والمدينة والإقليم والولاية والقسم والبلد والمنطقة الجغرافية والقارة ونصف الكرة الأرضية .

4 -سياسية ، مثل الطائفة والعصبية (الشلة) والقائد وجماعة المصالح والحركة والقضية والحزب والإيديولوجية والدولة.

5 -اقتصادية ، مثل الوظيفة ، والحرفة والمهنة وجماعة العمل ورب العمل والصناعة والقطاع الاقتصادي والنقابة والطبقة .

6 -اجتماعية ، مثل الأصدقاء والنادي والفريق والزملاء وجماعة تمضية أوقات الفراغ والوضع الاجتماعي .

وهناك ثلاث مستويات مختلفة عند تحليل موضوع الهوية كما يراها د. علي الدين هلال، أولا : الهوية على المستوى الفردي ، أي شعور الشخص بالانتماء إلى جماعة أو إطار إنساني اكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات ، والهوية هنا حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وبعملية التنشئة الاجتماعية ، وثانياً : التعبير السياسي الجمعي عن هذه الهوية في شكل تنظيمات وأحزاب وهيئات شعبية ذات طابع تطوعي واختياري ، وثالثاً : حال تبلور وتجسَد هذه الهوية في مؤسسات وابنية وإشكالية قانونية على يد الحكومات والأنظمة، أي أن الهوية تبرز بإشكال عدة

تبعاً للظروف المؤثرة ابتداءً من تعبير الشخص الفرد عنها، وانتهاءً بالأشكال التنظيمية الاجتماعية الأرقى، من خلال نسق نظامي وقانوني وعقلاني (عفيف،2013،ص24-25).

وتمثل الهوية وعي الإنسان وإحساسه بذاته وانتمائه إلى جماعة بشرية قومية أو دينية مجتمعاً أو أمة أو طائفة أو جماعة في إطار الانتماء الإنساني العام معبرة عن السمات الثقافية التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الذين ينتمون إليها(عبد الحسين،2010،ص23)، وارتبطت الهوية بعدد من العناصر كالانتماء والولاء والتعريف وأخذت بعدها الانطولوجيا من المكان الذي تنتمي إليه ليميزها عن غيرها من الهويات .

اعتبر المفكر الفرنسي اليكس ميكشيللي ان الهوية عبارة عن منظومة متكاملة من المعطيات المادية والمعنوية والاجتماعية التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها، فالهوية هي مركب من المشاعر المادية، ومركب من مشاعر الانتماء والتكامل والإحساس بالاستمرارية الزمنية والتنوع والقيم والاستقلال والثقة بالنفس والإحساس بالوجود، وهي ليست شيئاً جامداً بل حقيقة تتطور وفقاً لمنطقها الخاص الذي يتمثل في عمليات التقمص والتمثل والاصطفاء، وهي في سياق تطورها تتحدد على نحو تدريجي وتعيد تنظيم نفسها، وتتغير من غير توقف ، وتنطوي على دينامية داخلية مماثلة لمنظومة العمليات المعرفية والعقلية التي تشكل منطلقات الإحساس بالهوية شأنها في ذلك شأن مركب تكاملي يتجاوز مراحل نموه(اليكس،1993،ص130).

وتتمثل الهوية بأنها ذات بعدين رئيسيين : البعد الأول داخلي يتمثل في كون الهوية علاقة شعورية مكتسبة من الانتماء إلى الجماعة ، والبعد الثاني خارجي ويتجسد في أن الهوية تعكس رغبة الإنسان في التمايز من غيره ممن ينتمون إلى الجماعات الأخرى(حسام الدين،2010،ص129).

أن تكوَن الهوية وبروزها إنما ينتميان وفقاً لآلية واحدة هي التحاور والتفاعل مع الآخرين، فالتحاور هو الذي يقود إلى تعيين ملامح التماثل والتباين ما بين الهويات، سواء على صعيد الأفراد أو على صعيد الجماعات، ذلك لان الفرد لا يستشعر تباينهُ وخصوصيتهُ إلا عبر تفاعله مع أقرانه، وكذلك الحال مع الجماعات ، فهي تَدركُ خصوصياتها الثقافية مع أقرانها وكذلك الحال مع الجماعات الأخرى، سلباً كان أم إيجابا وهي تريدُ من خلال هذا التحاور نيل الاعتراف بها بوصفها جماعة متميزة من الجماعات المحيطة بها(حسام الدين،2010،ص111).

والهوية كما يقول علي وطفة مفهوم انطولوجي وجودي يمتلك خاصية سحرية تؤهله للظهور في مختلف المقولات المعرفية، وهو يتمتع بدرجة عالية من العمومية والتجريد تفوق مختلف المفاهيم الأخرى المجانسة والمقابلة له، ومع ذلك وعلى الرغم من الغموض الذي يلف مفهوم الهوية ويحيط به يمتلك هذا المفهوم طاقة كشفية لفهم العالم بما يشتمل عليه من كينونات الأنا والآخر(علي وطفة،2013،ص157).

-الذاكرة الجمعية

حاول أرسطو في مؤلفه حول الذاكرة De memoriaetreminiscentia حل مفارقة البقاء الغامض للماضي لدينا، مما يجعله مرئياً ومحسوساً وكأنه حاضر، مع كونه غابراً في الوقت نفسه، وقد كتب بهذه الخصوص (كل شيء يسير وفق التداعيات، فكل ذكرى تستدعي الأخرى، وصورة شيء تجذب إليها صورة أخرى عندما تقوم بين الطرفين علاقة تشابه وتعارض أو تجاور)(لورن،2012،ص23).

ولقد جعل الفيلسوف الإغريقي أفلاطون المعرفة تذكرا والجهل نسياناً، ومع مرور الزمن تبين أن للذاكرة مضموناً اجتماعياً وسياسياً وثقافياً فبات جائزاً الحديث عن الذاكرة الجماعية وحتى المعرفة ذاتها اتخذت بعداً سوسيولوجيا فظهر ما يسمى سوسيولوجيا المعرفة، وقبل ذلك تحدث بعض علماء الاجتماع عن العقل الجمعي ومع اتساع رقعة الحروب وتنوع أشكالالاحتلال والحماية وتطور أساليب القهر واهتمام الفلسفة بالإنسان وانقطاع التاريخ

لدراسة المجتمعات بدل الأشخاص والأسر الحاكمة ، ظهرت الذاكرة الجماعية كمفهوم، وكان أول من أثر في الأبحاث الحديثة حول الذاكرة عالم الاجتماع الفرنسي موريس هالبواكس في منتصف القرن العشرين من خلال كتابه الذاكرة الجمعية الذي شرح فيه أن الذاكرة دائما ما يكون لها جانب اجتماعي فهي دائما مرتبطة بالمجتمع، وقد اعتبر أن عملية التذكر الفردية لا يمكن أن تتم إلا في إطار اجتماعي محدد وفي كتابه الإطارات الاجتماعية للذاكرة بين لعلاقة الذاكرة الفردية بوقائع المجتمع(باسوولحسن،2011،ص10).

وتعرف الذاكرة الجمعية بأنها مجموعة مشتركة من المعلومات في ذاكرة عضوين أو أكثر من جماعة ويمكن أن تشارك وتمرر وتصنع من قبل مجموعات صغيرة أو كبيرة بشكل موازي للذاكرة الفردية وهي أيضا التفاعل بين سياسات التذكُر أو الذاكرة التاريخية أو الذاكرة المشتركة للأحداث التي تم المرور بها أو اختبارها بشكل جماعي فالذاكرة تقع عند نقطة تلاقي الفرد بالمجموعة وما هو نفسي بما هو اجتماعي(مريم ومنة،بلا،ص10).

إذن هي مجموعة أفكار وتجارب ومشاعر موروث ذهني لماضي يغذي التمثلات، يتشارك فيها مجموعة من الإفراد ينتمون لنفس الخلفية الدينية والاقتصادية والثقافية، لتمثل الذاكرة معنى ينتقل من الماضي إلى الحاضر ويتضمن جانب أثار وأماكن ورموز وتاريخ شفاهي على شكل قيم تؤمن بها الجماعة وتزيد من عملية ارتباطهم.

وهي تنمي الشعور لدى المواطنين بالانتماء إلى جماعة سياسية او عرقية تؤمن بالحق والواجب، وتتجلى الذاكرة أحيانا في الأوهام والأحلام وفي القصص والملاحم البطولية والأشعار وفوق ذلك فهي منظومة القيم والرموز وأنماط التفكير والتعبير، ويمكن ملامسة الذاكرة في الأماكن والمآثر المادية، وفي التقاليد الشفاهة كطقوس الانتصار أو الخوف والتحصين وتستشف أيضا في مظاهر الانغلاق الثقافي أو الانفتاح (باسوولحسن،2011،ص6) فهي موجودة متى ما تطلب المشهد استدعاء المخزون المشترك ليغذي التمثلات الاجتماعية ويعبر عن امتداد الماضي في ذاكرة الحاضر.

المحور الثاني : مركب الهوية

- **الانتماء الجغرافي**

تُشكل الجغرافيا عنصرا مهما من عناصر تَشكل الهوية ، وتعني أيضا الوطن الذي يتحدد برقعة من الأرض تشمل كل العناصر الطبيعية والبشرية، وما ينتج عنها من أوضاع اقتصادية وسياسية واجتماعية، فالمكان هنا يرتبط بزمان يعكس تاريخه، ويحدد الحاضر وفقاً لمعطيات الماضي .

ويُعد التعدد من المعطيات القديمة لتاريخ البشرية، ونجد عبر التاريخ ساكنة تنتقل ومجموعات تختلط وأراضي تم ضمها أو التخلي عنها، وعمليات تبادل تجاري سبق إقامتها وصيرورتكما إدماج سياسي تم تحقيقها وحدود جرى تغييرها، وأسهمت كل هذه الظواهر في التنوع الاثنت – ثقافي وتتجه في الواقع إلى تطويع ما يسميه إرنيستجلنير* مبدأ الوطنية بما في ذلك الملاءمة بين كيان وطني والدولة بوصفها وحدة شرعية(باتريك،2011،ص9). وقد تمر المجتمعات بعمليات التنقل والترحال نتيجة لظروف سياسية أو اقتصادية أو أزمات وكوارث طبيعية، وأخيرا بفضل العولمة وموجات الهجرة فيحدث تغييرا في حجمها ، مما يؤدي إلى خلق ميول جديدة.

وإذا كانت الهوية كمسار اجتماعي يخص الفرد مثل الجماعة فهي تصف أيضا الفضاء الجغرافي وأراضيه من واقع التفاعلات القوية التي يربطها الإنسان مع الإطارات المادية والرمزية لحياته الخاصة، وأحيانا كما في حالة الاسكيمو الذين درسهم مارسيل موس في بداية القرن العشرين فان أسماء المجموعات تختلط بأسماء الأماكن التي تسميها وتستضيفهم ، التصاق هوية المجموعة بمحلاتها نجدها في عديد من المجتمعات المألوفة ومنها العربية وهذه الظاهرة لا تعني إن هذه الهوية تستنسخ من الفضاءات الطبيعية في صورة حتمية وكما عند بعض طوارق النيجر حيث العشيرة تستمد اسمها من أسماء الأودية التي يقيمون بها دائما ، ذلك إن الفضاء الذي تتعرف به المجموعة التي تقييم فيه يتبلور أولا على قواعد تنظيم سياسي وتدبير الموارد الطبيعية التي تعكس امتلاك الأرض(مُحَمَّد،2017،ص31).

وينتج تبعا لعالم الاجتماع اولريخ بيك استقلال وابتعاد الدوائر الاجتماعية وشبكات التواصل والعلاقات التجارية وأنماط الحياة عن مواطن خاصة ومتجاوزة بذلك الحدود الوطنية الضيقة، ويشكل هذا من جهة معنى انثروبولوجي ومن جهة أخرى افقا رحبا للمجتمعات الحالية ويؤدي تكثيف موجات الهجرة وعمليات الترحال بالإضافة إلى الطابع العصي لمنطق الاقتصاد الذي يرافقها إلى تنوع في الفضاءات الاجتماعية(باتريك،2011،ص10) ،وتعدد الهويات لتعذر وجود هويات من نوع واحد ، فالناس مثلا قد يؤكدون على ازدواجية القومية ويدعون أنهم ايطاليون أو أمريكيون في آن واحد ، غير إن من الصعب إن يؤكدوا على ازدواجية الدين ويزعمون أنهم مسلمون وكاثوليك في الوقت نفسه، وتختلف الهويات في شدتها أيضا وغالباً ما تتنوع الشدة عكسيا في مجاله ويتميز الناس على نحو شديد بعائلتهم أكثر مما يتميزون بحزبهم السياسي ولكن ليست هي الحال باستمرار فضلاً عن تنوع السمات البارزة في الهويات من كل الأنواع بالتفاعلات بين الفرد أو المجموعة وبيئتها (حبيب،2009،ص483-484).

وقد أصبحت الهوية متُشكلة من خلال الجغرافيا، فبعض الهويات تعرف من خلال انتسابها الجغرافي، فيعرف بانتساب الأقباط المسيحيين إلى مصر، والمسيحيين الموارنة إلى لبنان، والعلويين من العرب إلى بلاد الشام، والشيعة الاثني عشرية إلى العراق والخليج ولبنان، والزيدية من الشيعة إلى اليمن، والاباضية إلى سلطنة عُمان وشمال إفريقيا، وفرق الاسماعلية إلى نجران جنوب الجزيرة العربية، وأحيانا نُعرف الجغرافيا بانتماءاتها المذهبية المختلفة فالمالكيون(أي أصحاب المذهب المالكي) في الجزيرة والخليج وشمال إفريقيا والشافعيون في فلسطين وبلاد الشام والأحناف في العراق ومصر والحنابلة في الجزيرة العربية ووسطها والشيعة في العراق(باقر،2013،ص318).كما قد تمنح الجغرافيا أكثر من هوية واحدة ، فالوطن الواحد غالباً ما يضم مجموعة من الهويات، فالناس مثلاً قد يعبرون عن أكثر من هوية في الوقت ذاته فهو ذو قومية كردية ضمن هوية عراقية عربية، وهو مسيحي ضمن دولة هويتها إسلامية، فالجغرافيا أصبحت

مُشكلة للهوية ومعبرة عنها كما أنها قد تكون الحدود الجغرافية عبارة عن براميل متفجرة يتم اللجوء إليها متى ما تطلب الأمر إعادة تحريك المشاعر واللعب على أوتار الانتماءات الفرعية لتحقيق مكاسب سياسية سلطوية.

الانتماء الجماعي

الانتماء هو مجموعة من البشر يشملهم وضع اجتماعي لوصف يتصفون به بالتشابه فيما بينهم، ويكون هذا الوصف ذا فاعلية اجتماعية، أي يشكل لمن يتصف به مركزاً اجتماعياً يتعامل به ويؤثر في حقوقه وواجباته الفردية والجماعية مما يوجد صالحاً مشتركاً بين من يشملهم ويُنتج وعياً ثقافياً بالانتساب إليه ويحرك بواعث الدفاع عن وجوده(طارق،2013،ص21).

ويرى دوركايم انه يوجد في داخلنا كائنان احدهما اجتماعي والأخر فردي ، إذ يجسد الكائن الاجتماعي أنظمة من الأفكار والمشاعر والعادات التي تعبر ليس عن شخصيتنا الفردية بل عن الجماعة أو الجماعات التي ننتمي إليها وتأخذ الأنظمة صيغة العقائد الدينية والمعتقدات الأخلاقية والتقاليد القومية أو المهنية والآراء الجمعية، ونحن نعتقد بان ذلك الكائن الاجتماعي يشكل عنصرا بنائيا لنواة الهوية الثقافية والجماعية، ويميز دوركايم أيضا بين الكائن الاجتماعي والكائن الفردي حيث يعرف الكائن الفردي بوصفه صيغة تشتمل على خصوصياتنا الفردية مثل :سماتنا وطبائعنا ووراثتنا وذكرياتنا والتجارب التي توجد في سياق تاريخنا الشخصي(اليكس،1993،ص100).

أما الكائن الاجتماعي فينبثق عن الجماعة التي ينتمي إليها ، ويحدد كيرفتش الجماعة بوصفها وحدة حقيقية، قابلة للملاحظة بشكل مباشر وتقوم على أساس مواقف جمعية مستمرة ونشطة وتسعى إلى تحقيق هدف مشترك وهي وحدة من المواقف ووحدة من المهمات والسلوك وهي بذلك تشكل إطارا اجتماعياَ بنيوياً يتجه نحو تحقيق تماسك نسبي لمظاهر الحياة الاجتماعية (اليكس،1993،ص38). ويذهب أش إلى أن العلاقة بين الفرد والجماعة في الأصل هي علاقة جزء بكل بوصفها تقتضي بمفردها تلخيص الكل(الجماعة) داخل الجزء (الفرد) أي انه يجب على الفرد أن يقوم بتمثيل

علاقات الجماعة كلية في داخل عقله لكي يكون قادرا على أن يسلك العضو في الجماعة ،فقد أوضح أن الجماعة والفرد (الاجتماعي والسيكولوجي) يأتيان من خلال التمثيلات المعرفية لعلاقات وحقائق الجماعة ، والشخص الذي يحدث له هذا التحول من كونه فردا إلى عضو في جماعة سيكولوجية فرد تنظم أفعاله واتجاهاته عن طريق نتاج جماعي من غير الممكن تجاهله(احمد، 2006،ص6). ويغذي الانتماء الجماعي وشائج ترسخ إحساسا جماعياً لدى الجماعة بوجودها مثل اللغة والدين والتاريخ والثقافة ونمط وأسلوب الحياة.

ويشكل تاريخ الجماعة منطلقا لتحديد هويتها، إذ تتجذر هوية الجماعة في تاريخها ويبرز تاريخ الجماعة وأثاره في صيغ مكتوبة كما يتجلى في تقاليد الجماعة وأساطيره وحكايتها وينطوي ذلك التاريخ أيضا على الأحداث الفردية والجمعية وعلى صورة إبطاله التاريخيين، كما يشتمل على صورة الحياة السياسية للجماعة وأثارها وعلى تقييم لأهمية تاريخ الجماعة الجمعي وأثره على تنظيم الوسط الحيوي، والبنية الديمغرافية والنشاطات الراهنة والبنية الاجتماعية وأخيرا الآراء، الاتجاهات والمعايير السلوكية، وموروثات الماضي(اليكس، 1993،ص23)، كل ذلك يشكل هوية المنضوين داخل الجماعة ويرسم توجهها تجاه الآخر.

المحور الثالث : السلطة وأساليب تشكيل الهوية والذاكرة الجمعية

تلعب السلطة السياسية في أي مجتمع دورا كبير في إعادة إنتاج الهوية وفقا لإعادة بناء ذاكرة جمعية هي في الحقيقة حصيلة الذاكرات الجماعية الموجودة في كل مجتمع يتسم بالتعددية .

ففي السياسة، تمارِس الذاكرة الجماعية نفوذها باتجاهين؛ أحدهما من الأسفل إلى الأعلى حيث تؤثر تفسيرات الماضي على هويات النخب السياسية، وكذلك من الأعلى إلى الأسفل لأن تصريحات بعض الشخصيات الفاعلة أو المؤثرة داخل مؤسسات الدول تستطيع أن تصنع من أحداث معينة ذاكرةً تشقّ طريقها إلى وعي الأفراد وعقولهم، بينما

تستطيع أيضًا أن تسكت أحداثًا أخرى وتضمّها إلى قائمة النسيان بأساليب عديدة تنطوي أساسًا على التلاعب غير الظاهر بعقول الآخرين.

ففي التاريخ اليهودي أو الإسرائيليّ، أدرك السياسيون ورجال الدول أنّ الذاكرة الجماعية تلعب دورًا قويًّا لا يمكن إهماله أو عدم استخدامه، لذلك سعوا دائمًا إلى التلاعب بالذاكرة والتاريخ لتحقيق أهدافهم في إنشاء دولتهم وإعطائها الشرعية بين أفرادهم.

لذلك فلطالما استخدموا الأساطير الدينية كوسيلة تعبويه تحفّز الذاكرة المتعلقة بالمكان والرموز، إضافةً لاستخدامهم للهولوكوست كموضوعٍ أساسيّ للذاكرة اليهودية يشرّع هجرتهم لفلسطين ويعطيهم الأحقية في أفعالهم (غيداء،2018،ص2).

ويشير يان اسمان في كتابه الذاكرة الحضارية إلى ما يسميه "التحالف بين السلطة والذاكرة" فالسلطة السياسية بحاجة ملحة شرعية لوجودها ، لذلك يطلق اسمان على هذه الظاهرة " الجانب الاستذكاري الموجه إلى الماضي " فالحكام لا يغتصبون الماضي وإنما المستقبل أيضا فهم يريدون إن يتذكرهم الآخرون ، ولهذا يشيدون لأنفسهم في أعمالهم أنصابا وتماثيل ويسعون إلى جعل أعمالهم مادة ترويها الأجيال وتخلدها في اثأر وتماثيل أو على الأقل توثقها في الأرشيف والمحفوظات(يان،2003،ص120).

أما بول ريكور في كتابه الذاكرة والتاريخ والنسيان يتحدث عن سوء الاستعمال للذاكرة من طرف السلطة، حيث يعرّفه على أنه: "تلاعب مقصود للذاكرة وللنسيان يقوم به من يملكون السلطة والنتيجة هي ذاكرة يسميها ريكور بـ " الذاكرة المتلاعب بها " بمعنى أنها ذاكرة أداتيه أي عوملت كأداة بحسب تعبيره ، إضافة إلى هذا يمضي ريكور إلى مناقشة العامل الذي يدفع أي نظام سياسي بغض النظر عن طبيعته (ديمقراطيا أم ديكتاتوريا) كان إلى توظيف الذاكرة كأداة لشرعنة أصله وتبرير استمراره كسلطة مفروضة ضمن سياق مجتمعي ما، وهي الأيديولوجيا علنية أم خفية معتبرا أن وظيفتها التأسيسية هي تبرير نسق نظام أو سلطة تهدف إلى إضفاء الشرعية على سلطة النظام أو الحكم(زهير،2017،ص43).

ويسلط هوغبولو هاستروب الضوء عل انتشار الذاكرة السياسية في العالم العربي ويعتبر ان أن استخدام الذاكرة لأهداف سياسية ليس ظاهرة جديدة ، لكن التركيز على ذاكرة العنف بدلا من الذاكرة الثقافية والتاريخية، وهذا التحول بالنسبة للكاتبين اتى نتيجة للحروب والنزاعات المسلحة بالإضافة الى فترات القمع السياسي التي شهدتها المنطقة العربية خلال العقود الماضية وقد أدى ذلك إلى منافسة على الإكراه لأغراض سياسية شخصية(مارا وباسل،2016،ص12) ، لذلك غالبا ما تستخدم الأحزاب السياسية الذاكرة لبناء ثقافة التذكّر الجماعية والحفاظ عليها، ما يخدم تشكيل الهويّة الجماعية. كما يبنى تفسير الماضي وفقًا لوجهة نظر معينة تتماشى مع إيديولوجية الحزب ورواياته المتعددة. بالتالي، تشكل الأحزاب وجهات نظر محددة داخل المجموعة، وترسم حدوداً اجتماعية وثقافية للتّمييز بين مجموعة وأخرى. هذا الأمر، يسمح بتحديد قوي للفرد ضمن الحزب ككل فيرى المناصر نفسه كجزء من مجموعة كبيرة تتشارك المواقف والتّصورات الثقافية السياسية والاجتماعية نفسها، فمثلا خلال فترة ما بعد الحرب، تضمنت ثقافة لبنان السياسية روايات عن المعاناة والتضحية، وأخرى عن الانتصارات والبطولات (مثل تذكر بعض المعارك المحددة أو المذابح، والشهداء، وغيرها.) وتعزز هذه الذكريات المشتركة الرابط العاطفي داخل المجموعات، وتؤكد دور الحزب في الحرب الأهلية (أو في صراعات أخرى،) وتسلّط الضوء على وجهة نظر مشتركة متعلّقة بما هو «صح» أو «خطأ.» وبطبيعة الحال، فإنّ الجانب السلبي لهذه الطريقة القائمة على بناء الهويّة الجماعية هو التّمييز الواضح بين حزب معين والجماعات السياسية الأخرى.فما يبني هويّة مجموعة معينة هو في بعض الأحيان ما يدمر الهويّة المشتركة لدى مجموعةّ أخرى. وفي هذا الإطار، يعزز تكوين ثقافات تذكّر متنوعة مع تفسيراتّ متباينة عن الماضي، الخصومات بين مختلف أقطاب المجتمع،كما ويستخدم التاريخ والذاكرة كسلاحٍ رمزيّ لإصابة المعارضين السياسيين بجروح رمزية (مارا وباسل،2016،ص24) .

والأنظمة السياسية عند بول ريكور غالبا ما تلجأ إلى ادلجة الذاكرة كتعبير عن هويتها وتفرضها ليس بوصفها ذاكرة رسمية لسلطتها، بل على أساس كونها ذاكرة وحيدة يجب التصديق بها والإيمان بمحتوياتها التاريخية التي صارت بفعل الادلجة محتويات معيارية ، وادلجة الذاكرة ليست بالضرورة من صنع نظام شمولي فهي ليست اختصاصا استبداديا بقدر ما هي تعبير عن طبيعة وبنية السلطة السياسية في حد ذاتها ، أي القدرة والسطوة في فرض هويتها بالكيفية التي تراها مناسبة لمصالحها وبالتالي تسويقها داخليا وخارجيا بالاستفادة من الذاكرة والتاريخ(زهير،2017،ص44).

وتسعى السلطة السياسية عادة إلى استخدام الرموز والنشاطات الثقافية في بلورة الهوية الجمعية من خلال تهيئة ذاكرة جمعية ،فالطقوس والحكايات الأسطورية والنصب التذكارية والمتاحف وإحياء مناسبات وأياما تذكرية والنصوص والقوانين تغذي الأفراد ذاكريا وهوياتيا، فعملية تشكيل ذاكرة مشتركة تتطلب وجود منظومة اجتماعية تحاكي توحيد الذاكرة وتوجيهها بالشكل الذي يؤسس لهوية مشتركة تؤدي وظيفة المحافظة على الكل المتعدد .

ويرى المؤرخ الفرنسي بيير نورا أن باريس وقصر فرساي وبرج إيفل من أماكن الذاكرة في فرنسا وأيضا العلم الفرنسي وكتاب الفيلسوف الفرنسي ديكارت تندرج تحت مسمى أماكن الذاكرة الفرنسية ويعتقد بيير نورا أن بدايات تشكل الذاكرة الفرنسية وتبلورها ترجع إلى عصر الجمهورية الفرنسية الثالثة أي القرن التاسع عشر الميلادي ففي تلك الحقبة قامت الذاكرة القومية بتأسيس الهوية الجمعية الفرنسية(زهير،2002،ص83).

ويحدد بيير نورا ثلاثة أبعاد لاماكن الذاكرة البعد المادي ، البعد الوظيفي ، البعد الرمزي، البعد المادي لاماكن الذاكرة تكون قابلة للمس مثل اللوحات الفنية والكتب أحداث تاريخية حاسمة أو دقائق صمت لإحياء ذكر تمثل مقطع مادي محدد من فترات الزمن تمتلك بعدا وظيفيا بمعنى انها تمارس وظيفة ضمن المنظومة الاجتماعية ولكي ترتقي هذه التموضعات إلى مرتبة أماكن الذاكرة يجب أن تتوفر أيضا عل بعد رمزي وهذا يظهر

بوضوح حينما تنتقل ممارسات أو أفعال معينة إلى طقوس محاطة بهالة رمزية(باسوولحسن،2011،ص12-13).

اما جينج وانج يقدم ثلاث مقاربات لفهم الذاكرة التاريخية ووظيفتها في تكوين هوية الجماعة: البدائية، البنيوية، والذرائعية. يؤكد البدائيون أن الذاكرة الجماعية والهوية تتشكل على أساس العلاقات البدائية كالدم، والقرابة، واللغة، والتاريخ المشترك. أو بمعنى آخر، فإن الذاكرة تنتقل بشكل عابر للأجيال. حيث تنتقل الذاكرة من جيل إلى آخر لتخبر الأحفاد والأجداد من هم. وترسم خريطة المستقبل بناءً على الماضي.

وعلى جانبٍ آخر، ينظر البنيويون للهوية والذاكرة على أنها مصطنعة، حيث إننا نحن المعاصرين من نبني ماضينا بشكل انتقائي ولأسباب متنوعة. حيث إن الذاكرة الجمعية تعيد بناء ذكرياتها لتتوافق مع الأفكار والشواغل المعاصرة. ووفقًا لأندرسون فإن اللغات المطبوعة وضعت حجر الأساس للوعي القومي من خلال إنشاء قنوات موحدة للتواصل، وأن الرأسمالية المطبوعة تربط الناس في المناطق المختلفة بمجتمع قومي أكبر ومُتخيل. ويتعلم الناس تاريخ مجموعاتهم ليس فقط من خلال آبائهم وأجدادهم، ولكن أيضًا من المدارس وكتب التاريخ ووسائل الإعلام. وترى الذرائعية أن الدافع وراء التعبئة الأثنية يكمن في المصلحة الفردية أو الجماعية، حيث غالبًا ما يُستخدم الماضي بشكلٍ فعالٍ كأداة للنخب لتوطيد قوتهم وكسب الدعم الشعبي. وعليه فإن التعليم الحكومي هو وسيلة لغرس القيم الاجتماعية المهيمنة بهدف إنتاج مواطنين موالين لهم هوية مشتركة(نادر،2019،ص2).

وتلعب المؤسسات التعليمية دورا كبير في استثمار المناهج التعليمية خاصة التاريخ، التي تُشكِّل جزءًا كبيرًا من الذاكرة الجمْعيّة ''الرسمية''، والتي تؤثِّر بدورها في الحاضر، وتُسهم في تشكيل المستقبل.

وتبرُز العلاقة القوية بين الذاكرة الجماعية والتاريخ بشكل واضح في النظام التعليمي. حيث تُعد صياغة الذاكرة الجماعية لبلدٍ ما جزءًا لا يتجزأ من بناء الدولة. والمدارس هي المؤسسات الاجتماعية الأساسية التي تعمل على نقل السرديات والقصص

الوطنية عن الماضي. حيث لا يتعلم الناس تاريخ جماعاتهم فقط من خلال آبائهم وأجدادهم.

فالكتب المدرسية تكون مسؤولة عن نقل ما يريده الكبار أن يعرفه الشباب عن ماضي الجماعة. ولا يمكن مقارنة أي من أدوات التنشئة الاجتماعية الأُخرى بالكتب المدرسية من حيث قدرتها على نقل نسخة موحدة، مُعتمدة، وحتى رسمية عما يجب أن يعتقده الشباب. فالتعليم الحكومي يُشكل أداة رئيسية لإشراك الشباب في القيم المهيمنة في المجتمع، والهدف هو أن الإتمام الناجح لهذه المهمة سيحوِّل الشباب إلى مواطنين موالين، وكذلك يساعد على غرس الهوية المشتركة.

ويمكن أيضًا استخدام التاريخ والذاكرة بشكل أساسي لتعزيز المصالح الفردية والجماعية. حيث غالبًا ما تستخدم النُّخب المتنافسة التاريخ كأداة للحشد الجماهيري في صراعها على السلطة. ويمكن أيضًا التلاعب بمسائل الأقليات للحفاظ على سلطة الأطراف المهيمنة أو لتبرير التمييز ضد مجموعات أُخرى. فمن خلال الكتب الدراسية التي يُدَّعى أنها محايدة، يتم استخدامها كأدوات أيديولوجية لتعزيز وشرعنة نظام اجتماعي أو سياسي. ومنذ ظهور الدولة القومية في أوروبا في القرن التاسع عشر، تم استخدام المناهج المدرسية كأداة للدولة تعمل من خلالها على تمجيد الأمة القومية، وتبرير أشكال معينة من النظم السياسية(نادر،2019،ص3).

خاتمة

لذلك نجد أن أهداف تعلّم التاريخ الرسمي تتغير وفقًا لأولويّات حكومة كل بلد، على الرغم من وجود رؤية مشتركة للتعلّم عن الماضي بهدف تحسين نوعية الحياة في الحاضر والمستقبل ووجود مناهج مهيمنة تتّخذها الحكومات لتطوير مناهج وطنية تهدف إلى تحقيق هويّة وطنية موحدة في المجالات المتأثّرة بالنزاع المسلّح، كما تهدف أيضا إلى تعزيز إعادة البناء الاجتماعيّ والمصالحة. ويؤكّد هذا الأمر أهمية وجود رواية واحدة أو تفسير رسمي للأحداث التّاريخية.وتستفيد هذه الروايات الكبرى من الانتصارات وتشكل ما يعرف بـ «نحن» ضدّ «هم،» كما هي الحال في كوريا الشمالية والجنوبية وباكستان

والهند، والهدف الآخر لتعليم التّاريخ الرسميّ هو تعزيز المصالحة، وتخفيف الشعور بمآسي الماضي، ومن المفترض أن يؤدّي تعليم التاريخ من خلال رواية واحدة إلى الاستقرار والسلام وذلك عن طريق إلغاء وتحديد النّزاعات المسلّحة الماضية وأعمال العنف.

ويؤدي اختيار الروايات التّاريخية إلى رفض بعض الروايات الأخرى أو نسيانها. وكما هي الحال في كمبوديا، قد يكون نسيان الصراعات السابقة أحد الأساليب للمحافظة على القوى الفاسدة في الحكومة أو السلطة بالإضافة إلى ذلك، تتضمن المناهج التعليمية المترابطة مع هذه الروايات الرسمية كمًا كبيرا من المعلومات الأمر الذي لا يترك مجالاً لروايات رسمية أخرى، وبالتالي، إحياء عناصر ثقافية معينة تعتبر كجذورٍ للصراع كما هي الحال في رواندا المماثل بطريقة نقديّة، ولكن مشابهة للطبيعة السياسية للديمقراطية الليبرالية. ويشير سيكساس إلى أنّ الرواية الكبرى الّتي تهدف إلى بناء حس الشراكة تتعارض مع أي تعليم للتاريخ كأدب الأمر الذي يتطلب التفكير واستخدام الأدلة لتبرير الأسباب وعمليات التغيير، هذا وتتضارب مناهج التعلم القديمة بين أجندة الحكومة المبنية على الانصهار الاجتماعي من طرف والأهداف التي تترك على التعليم لدراسة التاريخ من طرف آخر مثلا التفكير النقدي والتفسير(مارا وباسل،2016،ص14) ، وعليه نجد السلطة دائما ما تحاول تأويل ذاكرة سياسية مؤدلجة تختزل الذاكرات الجماعية الخاصة بكل جماعة لتخلق هوية جمعية تؤمن استمرارها وشرعنة وجودها.

6.قائمة المراجع:

- صمويل ب.هنتنجون ، من نحن؟ المناظرة الكبرى حول أمريكا ،ترجمة : احمد مختار الجمال ، المركز القومي للترجمة ، مصر ، القاهرة ، 2009.
- اليكس ميكشيللي ، الهوية، ترجمة علي وطفة ، دار الوسيم ، دمشق ، 1993.
- عفيف البوني ، في الهوية القومية العربية في كتاب الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2013.
- عبد الحسين شعبان ، جدل الهويات في العراق، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط 1، 2010.
- حسام الدين علي مجيد، اشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر، مركز دراسات الوحدةالعربية، بيروت،2010.
- علي اسعد وطفة، إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة في كتاب :الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، 2013.
- لورون بوتي، الذاكرة اسرارها وآلياتها ، ترجمة عزالدين الخطابي ، هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة، الامارات ، 2012.
- باسو او جبور ولحسن ايت الفقيه، إملشيل الذاكرة الجماعية ، مجلة جغرافية المغرب ، منشورات جمعية اخيام ، 2011.
- مريم ابو غازي ومنة المصري، التاريخ والحقيقة بين مفاهيم الضمير والذاكرة والعدالة الانتقالية ،ورقةمفاهيمية، مؤسسة حرية الفكر والتعبير، القاهرة،بلاسنة نشر.
- *إرنيستجلنير(1929-1995) فيلسوف بريطاني تشيكي وعالم انسانيات واجتماع .
- باترك سافيدان ،الدولة والتعدد الثقافي، ترجمة المصطفى حسوني ، دار توبقال للنشر، 2011.
- مُحَّد امطوش ، تفاعلات الهويات : الفرد والجماعة، دار الحوار للنشر، سوريا ن 2017.
- حبيب صالح مهدي ، دراسة في مفهوم الهوية ،مجلة دراسات اقليمية ، مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل ، العدد 13، 2009.
- باقر سلمان، الفئات والجماعات : صراع الهوية والمواطنة في الخليج العربي ، بحث في كتاب الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 2013.
- طارق البشري ، مفهوم الانتماء ودوائره المتحاضنة في كتاب دوائر الانتماء وتأصيل الهوية ، دار البشير للثقافة والعلوم ، القاهرة ، 2013 .
- احمد زايد ، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات ،سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، 2006.

- غيداء أبو خيران ، الذاكرة الجمعية .. كيف تتلاعب السياسة بتاريخ المجتمعات وذكريات،2018،https://www.noonpost.com
- يان اسمان ،الذاكرة الحضارية : الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأول ، ترجمة عبد الغني رجب، المشروع القومي للترجمة ، العدد 486، القاهرة ، 2003.
- زهير سوكاح ، السياسة والذاكرة الجمعية : علاقة تنافر ام تجاذب ، مجلة الناقد للدراسات السياسية، جامعة مُحَّد خضير –بسكرة، العدد الأول ، 2017.
- مارا البرشت وباسل عكر، قوة التذكر الأحزاب السياسية والذاكرة والتعلم من الماضي في لبنان، جامعة سيدة اللويزة ، 2016، ص 12.
- مارا البرشت وباسل عكر، قوة التذكر الاحزاب السياسية والذاكرة والتعلم من الماضي في لبنان، جامعة سيدة اللويزة ، 2016.
- زهير سوكاح ، الهوية بين الكتابة والذاكرة الجمعية نحو نموذج ذاكراتي فلسطيني ، مجلة رؤى تربوية ،العدد 27، 2002.
- نادر هشام ،الذاكرة الجماعية كمقاربة لفهم الظواهر السياسية ، 2019. https://www.ida2at.com